وجوه ، والبيئات الأولى التى شب فيها كثير منهم مبهمة غامضة ، وقد كان نقاد العربية قليلى العناية بأمر البيئة وأثرها فى تكوين الأديب ، إنما كانوا يعرضون لبعض التواريخ الجافة المتعلقة بمولد الأديب ووفاته ورحلته إلى بعض العواصم واتصاله ببعض الحكام ، ويستحسنون بعض ما أنشأ أو يستهجنونه ، ويفضلونه أو يفضلون عليه ما قال أديب غيره فى نفس الباب ؛ ولهم فى ذلك بعض العذر ، إذ كانت للقول كما تقدم أوضاع وأنماط معروفة ، يأخذ الأديب بها نفسه ما استطاع ، ويحاكى الاقدمين فيها ماأمكنته براعته . أما بيئته الخاصة وتراثه الذهنى والنفسى ، فيذره جانبا وقلما يدخله فى أدبه

ولا يرد ذكر البيئة وأثرها فى كتب النقد العربى إلا عرضا ، كالذى ورد من أن ابن الرومى سئل لم لا يشبه كتشبيهات ابن المعتز ، فقال لسائله : أنشدنى شيئا من قوله الذى استعجزتنى عن مثله ، فانشده بعض أشعار ابن المعتز التى يشبه فيها النجوم والزهور بالفضة والعنبر ومداهن الغالية وهلم جرا ، فصاح ابن الرومى : واغوثاه ! لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ! ذاك إنما يصف مايعون بيته ، وأنا أى شىء أصف ؟ ووضع الجاحظ رسالته سالفة الذكر على لسان أرباب المهن ، فأجرى القول فيها مجرى الدعابة والمغالاة ، وكان أولى لو عرض للأمر من ناحيته الجدية . واستعرض بديع الزمان فى بعض مقاماته عدداً من فحول الشعراء المتقدمين ، فقال إن أحدهم أشعر الناس إذا غضب ، والآخر أشعرهم إذا رهب ، والثالث إذا شرب وهلم جرا ، فلم ير إلا أن هذه جبلتهم التى فطروا عليها ، ولم يتخيل لبيئة كل منهم فى ذلك أثراً

أما فى الأدب الانجليزى ، ولاسيما فى العصر الحديث ، فدرس أثر البيئة وعواملها من وراثة وتربية وثقافة وعقيدة ، أساس كل دراسة أدبية وكل نقد وترجمة ، والوسيلة الأولى لفهم الأديب وقدر آثاره حق قدرها ، وما ذاك إلا نتيجة ارتقاء العلوم والاجتماعيات فى العصور الحديثة ، واستفادة الادب الانجليزى بمجهودات أدباء الأمم الأخرى ، كادباء الايطالية الذين ارتقوا بعلم تاريخ الادب ، وأدباء الفرنسية الذين هذبوا أصول النقد ، وقد درس الأدب الانجليزى وترجم أدباؤه على ضوء هذه القواعد والأصول ، فبلغ من الوضوح والترتيب مالم يبلغه تاريخ الادب العربى بعد

فخرى ابو السعود

بمناسبة ذكرى المولد

للأستاذ على الطنطاوى

احتفل العالم الاسلامى كله أول أمس — بذكرى مولد سيد العالم وخاتم النبيين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا الاحتفال يعد فرصة سانحة من فرص الدعوة إلى الاسلام ، والسعى فى سبيل الاصلاح ، تفيدنا فائدة كبيرة إذا نحن عرفنا طريق الاستفادة منها ولم نجعلها قاصرة على إقامة السرادقات الفخمة ، وإيقاد آلاف من المصابيح الكهربائية ، وإطلاق البارود فى الجو ، والاجتماع على ترتيل قصة المولد والتطريب فيها ، وتلاوة الأغانى والأناشيد ، وأكل الحلويات والأنقال ، والتسلى واللهو والطرب ، وإضاعة الأموال بلا حساب

وطريق الاستفادة منها ، أن يبحث الخاصة من رجال وأولياء الأمر ، فى مجالسهم واحتفالاتهم أدواء المسلمين اليوم ، ويصوروها ويفتشوا عن أدويتها ، وأن يضعوا خططاً جديدة للدعوة ، ومناهج للعمل المثمر ، وأن تشرح السيرة النبوية للعامة فى مجامعهم واحتفالاتهم ، وينبهوا إلى مواطن العبرة فيها ، لأن ذلك هو المراد من الاحتفال بالمولد ، لا سرد الأخبار الموضوعة . والعجائب والخرافات ، واللهو والطرب ، وأن تبين لهم مزايا الاسلام وفوائده ، وأصوله ومبادئه ، لأن الكثيرين من المسلمين لا يعرفون من الاسلام إلا اسمه ، ولا يفرقون بين طبيعة الاسلام وطبائع الأديان الأخرى ، ولا يعلمون أن الأديان كلها أديان فقط ، بمعنى أنها جاءت بعقائد وعبادات وأخلاق ، أما الاسلام فهو دين ، وهو تشريع ، وهو سياسة ، وهو أدب . وانظر فى أى مسألة من مسائل الفكر الكبرى ، أو أى أمر من أمور الحياة ، تر للإسلام رأيا فيه وحكما ، فالتشريع الاسلامى أغزر أو من أغزر وأصفى المنابع التشريعية فى العالم . والاسلام قد أقر الحرية الفكرية ، ووضع أصول البحث العلمي ، بما أمر به

من دراسة الكون ، والنظر فى ملكوت السموات والأرض ، والاسلام قد وضع أسس السياسة العامة ، والشرع الدولى ، والاسلام وحده هو الذى يحل المشكلة الاجتماعية والاقتصادية الكبرى ، وينقذ الانسانية من استبداد المتمولين ، وجحود الفرديين ، ومن خيالات الاشتراكيين ، وبلاء الشيوعيين ، بما جاء به من قواعد حكيمة عادلة للزكاة والمساواة ونظام الحكم . وللاسلام بعد ذلك كله حكمه فى كل عمل من أعمال الانسان ، فلا يخلو عمل على الاطلاق من أن يكون له حكم فى الدين وللدين دخل فيه ، فيكون مباحاً أو مندوبا أو واجبا أو مكروها أو حراما ، ولا يستطيع المسلم أن ينسى الاسلام لحظة أو يمشى بدونه خطوة .

ثم إن هذه الأحكام كلها مساوقة للعقل — موافقة له — سائرة مع العلم . والاسلام يقدر العقل حق قدره ، ويجعله الموجب الأول ، ويربط المسئولية والتكليف به ، ويخاطبه دائما ويعتمد عليه ولا يخالفه أبداً . ولم يستطع أحد إلى اليوم ولن يستطيع فى الغد أن يجد قضية شرعية قطعية ، تناقض قضية عقلية قطعية ، فلا يثبت الشرع محالا فى العقل (١) ولا يحيل ثابتا ، ولا يخالف أصلا من الأصول الثابتة فى العلم . وأعنى بالأصول الثابتة الحقائق والقوانين العلمية ، لا الفروض والنظريات (٢) وأيسر نظرة يلقيها العاقل البصير على كتب الدين ، وأقل إلمامة بعلومه ، تثبت هذا الذى ذكرنا .

* * *

فإذا كان هذا هو الاسلام ، وهذه منزلته من العلم والمدنية فلماذا ينصرف عنه أكثر الشباب ؟ إنهم منصرفون عنه لأنهم لا يعرفونه . ومن أين يعرفون وهم لا يدرسون منه فى المدارس إلا شيئا تافهاً لا يحل حلالا ولا يحرم حراما ، ثم إنهم لا يجعلونه ولا يحلونه إلا دون الدروس كلها . وسبب ذلك أن الطلاب إنما يقرءون ويجدون ابتغاء النجاح فى الامتحان والدين لا يدخل فى امتحان رسمى أبداً ، لا فى الشام ولا مصر ولا العراق . وهذه مناهج الكفاءة وما دونها ، والبكالوريا وما فوقها ، فيها كل علم إلا علوم الدين . وليس الغرض من حذفها والمانع من اثباتها وجود طلاب غير مسلمين فى هذه الامتحانات ، فإن ذلك يمكن تلافيه ، بأن يمتحن كل طالب فى دينه ، وتدعى كل أمة إلى كتابها ، ولكن ذلك شىء تعمده الأجانب يوم كانت سياسة البلاد وإدارتها ومناهجها فى أيديهم وكان أمضى سلاح حاربونا به فى ديننا وأبنائنا ، فكيف نبقى عليه وقد انتقلت سياسة البلاد ومناهجها إلى أيد وطنية يريد أصحابها الخير لبلادهم والصلاح ؟

ثم إن هؤلاء الطلاب إذا خرجوا من المدرسة ، وبقى فريق منهم على شىء من التدين وأحبوا أن يطالعوا علوم الاسلام ، لم يجدوا كتابا سهلا جامعاً بين دفتيه خلاصة ما يجب على الشاب المسلم أن يعرف من أصول الدين وفروعه ، وإنما يجدون كتبا فى علم الكلام مشحونة بالمجادلات الجوفاء . والرد على ملل قد بادت ونحل قد نسيت منذ مئات السنين ، وعرض شبهاوضلالاتها ؛ وكتبا فى الأصول معقدة غامضة ، لا يفهم الشاب شيئا منها ، وكتبا فى الفقه مملوءة بالمناقشات اللفظية ، والفروض البعيدة والاحتمالات الغريبة ، لا تكاد تخلو من اختصار مخل أو تطويل ممل ، وكتبا فى التفسير مطولة ومختصرة فيها كل شىء من نحو وصرف ولغة وبلاغة وتاريخ وفلسفة وإسرائيليات ولكن ليس فيها تفسير واحد يرضى الشاب وينفعه ويجد فيه المراد من الآية ويعينه على التدبر الذى أمر الله به ، وكتبا فى الحديث مرتبة على غير حاجة العصر مبوبة بحسب أبواب الفقه أو أسماء الرواة ، ينصدع رأس الشاب ويفنى صبره قبل أن يصل إلى حديث واحد يفتش عنه ويطلبه ، ورسائل فى علم المصطلح غامضة فيها تعقيد ، وقل مثل ذلك فى سائر العلوم ... وهذه الكتب مؤلفة على طريقة لا تخلو من غرابة وشذوذ ، فالكتاب الواحد متن وشرح للمتن ، ومختصر للشرح ، وشرح للمختصر ، وحاشية على شرح المتن ، وتقرير على حاشية الشرح ... ... ولست أفهم لماذا ارتقت أساليب الكتابة فى كافة العلوم وأخذت شكلا جديداً ، ولماذا يؤلف اليوم الكتاب فى الأدب على غير ما كان يؤلف عليه قبل خمسين سنة ولا تزال هذه الكتب على ما كانت عليه منذ مئات السنين لم تصل إليها موجة الحياة ؟ ولماذا نجد فى علماء كل فرع مؤلفين

(١) كاستحالة كون الثلاثة واحدا (٢) كنظرية لابلاس فى أصل الأرض وداروين فى أصل الانسان

مجددين ولا نكاد نجد فى علماء الدين إلا مقلدين مرددين ؟

فماذا يصنع الشاب الذى لم يدرس الاسلام فى مدرسة ولم يفهم كتبه ؟ أيسأل المشايخ ؟ إنه إن فعل لم يجد أكثرهم إلا مجلدات تمشى ، ليس فى ثيابهم وتحت عمائمهم إلا أوراق الكتاب ، فهم يسردون عليك ما حفظوا كأنهم يتناولونه من مستودعات أدمغتهم باليد ؛ ومن كان منهم ذا فكر جوال ، وعقل باحث كان فى كثير من الأحيان ضعيفاً فى مادته العلمية ، فهو يخالف الأولين والآخرين ، ويتنكب سبيل الدين . وقليل منهم من جمع إلى العلم ، سرعة الفهم ، وفهم روح العصر ، وحسن مخاطبة الناس . ثم أكثر هؤلاء المشايخ بعيدون عن الأدب ليس لهم فى صناعة البيان يد ، قل أن ترى فيهم من يعد كاتبا مجيداً ، أو لسناً مفوهاً . على أننا بعد هذا كله نخشى أن ينقرض هؤلاء المشايخ ولا نجد لهم خلفاً ؛ وعلى أننى لا أحملهم الذنب وحدهم ، فالذنب على المسلمين كلهم وليس فى الاسلام (رجال دين) مسئولون عنه ، وقائمون به ، ووكلاء عليه ، ولكن رجال الدين عندنا هم كافة أهله وأتباعه ، لا فرق فى ذلك بين شيخ الاسلام ، وآخر مسلم فى أفريقيا الوسطى ، أو القطب الشمالى . ولو أن أكبر شيخ فى حلقته ، أو خطيب على منبره ، أخطأ فى حكم ، أو حرف آية ، لرد عليه من يحفظ الآية ، ويعرف الحكم ولو كان طفلا صغيراً ، أو امرأة ... وما هذه المرأة بأقل من تلك العجوز ، ولا هذا الخطيب بأجل من عمر ؟

* * *

ثم إن الشبان المسلمين كلهم يذكرون الإعجاز ويعتقدون به ، ولكن من منهم يعرف أوجه الإعجاز على حقيقتها . وإذا أراد أن يفهمها فى أى كتاب يجدها ؟ بل من منهم يفهم القرآن فهما صحيحاً يتجاوز التفسير العادى ؟ بل كم من الناس يعرفون تفسيره العادى ، وكم منهم يسمعه ليعتبر ويتدبر ؟ ألا يسمع أكثر المسلمين القرآن ليطربوا بنغماته وأصوات تلاوته ؟

وكلنا يعتقد بأن الاسلام صالح لكل زمان ومكان ، ولكن أى دولة بل أى جمعية إسلامية حاولت أن تستخلص من كتب الفقه ونظريات الفقهاء قانونا مدنياً ينطبق على عصرنا الحاضر ؛ ويكون تتمة العمل الكبير الذى بدئ بوضع (مجلة الأحكام الشرعية) وفى الفقه متسع لهذا العمل ، وفى إنجازه إنقاذ البلاد الاسلامية من الحكم بغير ما أنزل الله ، والتعرض لما ورد فى ذلك من الوعيد الشديد ، فضلا عما فيه من المس بالكرامة الوطنية ، والسيادة القومية ؟

ومن حاول أن يؤلف فى بيان رأى الاسلام فى الاشتراكية وموقفه منها ، وحكمه فى الديمقراطية وأساليب الحكم المعروفة ؟

أليس اغتنام فرصة ذكرى المولد الشريف للبحث فى هذا وشبهه جزءاً من هذه الحفلات التى لامعنى لها ، والمظاهر التى لا طائل تحتها ؟

* * *

وإنى لأرجو من الله — لما أرى من انصراف مصر علمائها وأدبائها وشبابها المثقف إلى الاسلام وإقبالها عليه — أن يكون يوم ذكرى المولد من هذا العام ، فاتحة عهد جديد فى تاريخ الإسلام ، كما كان يوم المولد الشريف ، فاتحة عهد جديد فى تاريخ العالم .

(بغداد) على الطنطاوى

فى أصول الأدب

للأستاذ احمد حسن الزيات

كتاب جديد فريد فى نوعه . يشتمل على أبحاث تحليلية طريفة فى الأدب العربى وتاريخه . منها تاريخ الأدب وحظ العرب منه . العوامل المؤثرة فى الأدب ، أثر الحضارة العربية فى العلم والعالم . تاريخ حياة ألف ليلة وليلة وهو أوفى بحث كتب فى هذا الموضوع إلى اليوم . ثم قواعد تفصيلية للرواية التمثيلية الخ الخ .

يطلب من ادارة مجلة الرسالة وثمنه ١٢ ص